نشأة الخط العربي وتطوره

١ – الخط العربي قبل الإسلام

بقلم الأستاذ محمد أبو الفرج العش

مدخل

نعرف الخط العربي القديم من النصوص التي اكتشفت عفوا أو قصدا في أثناء التنقيبات الأثرية ، وما نقش على النقود العربية الساسانية ، والنقود العربية المبكّرة المضروبة حسب النمط البيزنطي ، ثم النقود الأموية والعباسية ... هذا الخط عربي متكامل وهو من بعد الاسلام .

تساءل الكتّاب العرب القدامى عن نشوء الخط العربي ، ومتى بدأ العرب يكتبون ، ومن أوائل الذين كتبوا به ؟ لقد رووا ما وصل اليهم بأسناد متتابعة – على عادة كتابنا الأمناء الحريصين على ذكر مصدر الرواية – فعرفنا نتفا من الأخبار .

اهتم المستشرقون بأمر الكتابات السامية القديمة منذ القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن ، فجمعوها وصنفوها ونشروها . وقد عرفنا من نتيجة هذه الجهود الكبيرة أن الساميين القدماء كتبوا بالخط المسند الحِميَري الجنوبي ، وبالخط الآرامي الشمالي ، وكلاهما أبجدية رتّبت حروفها حسب أقدم أبجدية عرفت في سورية ، وهي أبجدية رأس الشمرة (أوغاريت): أبجد ، هوز ، حطّي ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

تفرّع عن الخط المسند الحِميَري الجنوبي عدة خطوط هي : الخط الحبشي والثمودي واللحياني والصفوي . وقد وجدت كتابات كثيرة من هذه الخطوط ، ويعتبر الخط الصفوي أكثر هذه الخطوط انتشارا في سورية الجنوبية والأردن ، وخاصة في البادية منذ عهود ما قبل الميلاد[1] حتى قبيل الاسلام .

تفرّع عن الخط الشمالي : الفينيقي والآرامي والعبري والنبطي والتدمري والسرياني والفهلوي . وهذا الخط الأخير هو الذي انتشر في العراق وإيران وأصبح الخط الرسمي للدولة الساسانية منذ القرن الثالث الميلادي حتى العهد الاموي ، وظلت آثاره باقية على النقود في العهد العباسي الأول .

تميّزت اللغة العربية من اللغات السامية كلهجة من اللهجات ، وهي مشتركة معها بكثير

---

(١) وجدت في جبل اسيس عددا كبيرا جدا من النقوش الصفوية محزوزة او محفورة على البازلت .

من الألفاظ، كما تميّز الخط العربي من الخطوط السامية[٢] . وهنا نتساءل متى حصل هذا التميز ؟

اكتشفت كتابات نبطية كثيرة تعود الى عصر ما قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي . نلاحظ في كتابات القرن الرابع تطوّرا في الحروف النبطية وشبها بالحروف العربية التي تكاملت فيما بعد ، إلا أننا نميّز الخط النبطي المتأخر من الخط العربي المستحدث أن الحروف ظلت منفصلة بعضها عن بعض في النبطي .

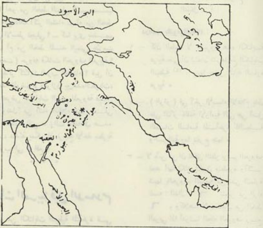

مواقع الكتابات العربيه قبل الإسلام

---

(٢) يمكن الرجوع الى الجداول التي نظمها العلماء بالحروف السامية لمتابعة تشابهها واختلافها واليكم مثلا بعض المراجع :

De Morgan : Manuel de Numismatique Orientale, fascicule II, Paris, 1929, PP. 261, 276 et 295.

اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ـ القاهرة سنة ١٩٢٩ ؛ ص ١٧٩ و ٢٠٠

Á. Grohmann : Arabische Paläographie, Wien 1971, P. 9.

ولقد اوضح Cantineau في كتابه الذي سنشير اليه فيما يلي تشابه الحروف النبطية المتأخرة والعربية القديمة قبل الاسلام وبعد الاسلام .

J. Cantineau : le Nabatéen, Vol. I, PP. 29 - 30.

بينما الخط العربي يميل الى وصل بعض الحروف ببعضها الآخر ؛ ونلاحظ أيضا أن الخط النبطي لا يهتم بالالتزام في الكتابة على خط مستقيم بل يرفع بعض الحروف ويخفض بعضها الآخر عن السطر ، بينما الخط العربي ينتظم على خط مستقيم • ترى من أين استنبط الخط العربي ؟ أهو من الخط النبطي ؟ ــ حسب ما ذهب الى ذلك أكثر العلماء ــ أم من الخط السرياني الاسطر نجيلي ؟ ــ كما يرى بعضهم الآخر ــ أم من الخط المسند اليمني جُزمت (أي قُطعت) حروفه فكانت الحروف العربية ؟ ــ كما يذكر كتابنا العرب القدماء ؟ قبل أن تناقش هذا الموضوع ونوازن بين هذه النظريات، نرى أن نعرض الكتابات السبع المعروفة قبل الاسلام وندلّ في أثناء الكلام عنها على المؤثرات القديمة التي ما زالت عالقة في هذه الكتابات ، عندئذ يمكن ان نرجح الأخذ بنظرية تكون أقرب الى الواقع •

• • •

الكتابات العربية قبل الاسلام

نختار من الكتابات النبطية المتأخرة في القرن الثالث الميلادي كتابة واحدة نفككها ونبين مدى قربها من الكتابة العربية التي نشأت فيما بعد •

كتابة أم الجمال الأولى :

أم الجمال موضع يقع على بُعد ٢٥ كم جنوبي بصرى الشام •

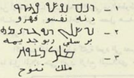

الشكل ـ ١

دراسة باليوغرافية(٣) :

١ ــ كان العلماء لا يعتبرون هذه الكتابة عربية حتى أن ليتمان نشرها مع الكتابات النبطية (٤) . بينما نعتبر كتابة النمارة عربية •

٢ ــ (الواو) في آخر الأسماء الاعلام يدل على التأثر باللغة الآرامية التي هي أصل اللغات السامية المتأخرة كالنبطية والسريانية وما يتفرع عنها •

٣ ــ لا بأس من ان ندقق النظر برسم الحروف نجد أنها تكاد تكون متطورة وأكثر شبها بالحروف العربية من نص النمارة نفسه : الدال ٦ تتميز عن الراء ٦ ؛ وكلاهما لا يختلفان عن الخط العربي اذا أدرنا اتجاه الحروف ربع دائرة حركة عقرب الساعة • واذا أضفنا الى (الدال) بوضعها الحالي الخط

---

(٣) وهي كلمة Paléographie وما شابهها في اللغات الاجنبية الاخرى ، تعنى هذه الدراسة باشكال الحروف .

(٤) Enno Littmann : SYRIA (Publication of the Princeton University. Archaeological Expeditions to Syria in 1904/5 and 1909). Division IV section A. (1914), PP. 37 - 40 No 41.

الاسفل الذي يلتزمه الخط العربي حصلنا على (الدال الكوفية) .

٤ — (الفاء) هي نفسها بالخط العربي و (الواو) لا يختلف رسمها الا شيئا قليلا .

٥ — الهاء المتوسطة في كلمة (فهر) كتب مثالها في الخط العربي ، وكذا (الجيم) في (جذيمة) .

٦ — (السين) لا تزال بعيدة بعض الشيء عما تطورت إليه في الخط العربي ، لكن الأسنان الثلاث تدلّ عليها .

تفسير النص :

١ — هذا قبر فهر
٢ — ابن سلى مربي جذيمة
٣ — ملك تنوخ .

دراسة لغوية :

١ — يعتقد الاستاذ ليتمان ان هذه الكتابة دوّنت في زمن غير بعيد عن الزمن الذي نقشت فيه كتابة النمارة التي تعتبر كتابة عربية . ويعتقد أن كاتب هذا النص كان عربيا عالما بالآرامية . لأنه استعمل الواو في آخر الاسماء (نفشو ، فهرو ، ربو) كما هو الامر في الآرامية .

٢ — هذه الكتابة نبطية عربية ذكرت فيها مفردات استعملت في نقش النمارة الذي يعتبر مكتوبا بلغة عربية وحروف نبطية ، وذلك مثل (نفشو) بمعنى (القبر الذي تحوم حوله نفس المتوفى) (بر) بمعنى (ابن) وقد ظلت هذه الكلمة في اللغة العربية نعتا يدل على الابن (البارّ) الصالح ، وقد وصف الله النبي يحيى في القرآن الكريم بقوله : « وبراً بوالديه ولم يك جبارا عصيّا »(٥) ، (ملك) كلمة عربية برسمها ومعناها .

٢ — يعتقد ليتمان ان (سلي) مرخمة من كلمة (سُلَيْم) العربية ، أما نولدكه فيؤثر أن يكون نطق هذا الاسم العلم (سلاّء) .

دراسة تاريخية :

(جُذَيْمة) هو أحد ملوك الحيرة المسمى (جُذَيْمة الأبرش) التنوخي الذي حارب الزبّاء ملكة تدمر . إذا ثبت هذا التقدير فان النص يؤرخ بالثلث الاخير من القرن الثالث الميلادي .

* * *

كتابة النمارة :

يوجد في النمارة قصر صغير من العهد الروماني يقع على الطرف الجنوبي من وادي الشام المنحدر من جبل العرب نحو الشمال الشرقي الى البادية . في سفح المنحدر الى الوادي وجدت بعثة أثرية فرنسية يرأسها الاستاذ Dussaud(٦) سنة ١٩٠٢ حجرا من الحجر البازلتي

---

(٥) القرآن الكريم : السورة ١٩ : الآية ١٤

(٦) نشر الاستاذ دوسو مع السيد ماكلر ثم دوسو لوحده عددا من الابحاث عن اعمال هذه البعثة ، ذكرت فيها هذه الكتابة :

Dussaud et Macler : Inscription Nabatéo-Arabe. [Revue Archéologique. Vol. II (1902) PP. 409 - 412]

Idem : Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne. PP. 413 - 429, 479 et 715 - 17.

Dussaud : Les Arabes en Syrie. PP. 30, 34 - 35, 51, 91 - 2

Idem : La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam, Paris, 1955, PP. 64 - 5

نقشت عليه هذه الكتابة • نقل الى متحف اللوفر في باريس ، ثم أُخذت عنه نسخة جصية حفظت في المتحف الوطني بدمشق ، ثم نقلت هذه النسخة إلى متحف الخط العربي بدمشق •

درس العلماء المختصون بالكتابات العربية هذا النص ونشروه ، لقد كانوا تقريبا متفقين على تفكيكه ، لكنهم اختلفوا على تفسيره وترجمته •

هذه شاهدة قبر امرىء القيس خلدت أعماله الحربية واتساع نفوذه من الحيرة إلى اليمن إلى التخوم الشآمية ، وقد سمت منزلته لدى الفرس حتى أنهم أناطوا به وبأولاده أمر الدفاع عن المنطقة ومراقبة التخوم لصدّ الروم • حدّد دوسو تاريخ حكمه بين ٣٠٠ ــ ٣٢٨ م بناء على دراسة ROTHSTEIN (٧) الذي ذكر لائحة كاملة بأسماء ملوك الحيرة اللخميين •

دراسة باليوغرافية :

سنتتبع الحروف حسب ورودها في النص ، ثم نورد أشكال الحرف حسب وقوعه في الكلمة •

١ ــ (التاء) في أول الكلمة ووسطها وآخرها رسمت بشكل واحد ɦ • لاحظ كلمة (تي) ، (التج) ، (سنت) • هذه التاء لم تتطور بعد •

٢ ــ (الياء) الأخيرة رسمت متصلة بالتاء في كلمة (تي) • شكلها قريب من الحرف العربي ، أما وصلها بالتاء فهو تطور الى العربية بوضوح ، لكن اتصالها في كلمة (بزجي) مختلف فهي مرفوعة إلى الأعلى ، مما دعا دارسي النص في سجل الكتابات العربية(٨) ان يقرؤوا الكلمة (بزجاي) وأتت منفصلة في

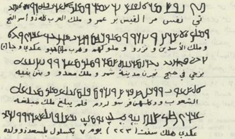
تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج
وملك الأسدين و نزرو و ملوكهم وهرب مذ[حـ]جو عكدي و جا[ء]
بزجي في حبج نجرن مدينة شمر و ملك معدو و بنن بنيه
الشعوب و وكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه
عكدي هلك سنت (٢٢٣) يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

الشكل ــ ٢

---

(٧) Rothstein : Die Dynastie dar Lahamiden in le - Hira. P. 69 ff.

(٨) Combe, Sauvaget et Wiet : Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arane P. 1

سنشير الى هذا المرجع كلما ورد ذكره سجل الكتابات العربية : R C E A

(عكدي) ، وشكلها أيضا قريب من الحرف العربي . وقد وردت في وسط الكلمة متصلة أيضا من الطرفين (القيس) لا تختلف عن العربية الا بشيء من العوج . ووردت أيضا في أول الكلمة متصلة في كلمة (يوم) على شكل ﻛ وهي لا تختلف عن العربية إلا بعوج طفيف الى اليمين .

٣ – (النون) و(الفاء) و(الميم) و(اللام)، و (لا) في كلمة الأسدين ، و (الجيم) و (القاف) و (العين) و (الغين) و (الكاف) الأخيرة... كل ذلك كحروف الخط العربي ، لا تختلف إلا قليلا وقليلا جدا .

٤ – (السين) ذات ثلاث أسنان ، إلا أنها لم تتطور إلى الشكل العربي في هذا النص ، ستجدها متطورة في نص معبد رَمَّ .

٥ – (الراء) رسمت ٦ نبطية غير متطورة . عددناها في نص أمّ الجمال الأولى أكثر تطورا نحو العربية بالرغم من أن النص أقدم .

٦ – (الألف) رسمت ﻛ مائلة الى الجهة اليمين وانتهت في الاسفل بعقدة . الميل بقي في الحرف العربي لكن العقدة حلّت وفتحت بتعويج . سنرى في نص معبد رمّ أن العقدة زالت .

٧ – (الواو) شبيهة بالحرف العربي ، لكنها لم تكتمل بعد .

٨ – (الكاف) في أول الكلمة رسمت د في كلمة (كله) وهي شبيهة بالكاف الآرامية والفهلوية ، وبالرغم من أنها أخذت شكل (الكاف الاخيرة) في الخط العربي في كلمة (ملك) ، فانها أحيانا ترد على هذا الشكل على النقود العربية في العهد الاموي . عاين كلمة (كله) و (كره) في مأثورة المدار وخاصة على الدراهم الاموية .

٩ – (الهاء) الاخيرة في (كله) رسمت كالحرف ص الفهلوي الذي يلفظ P = ب أو F = ف بالفهلوية .لقد التبس هذا الشكل على علماء النقود ومنهم الدكتور ووكر(٩) فظن أن في كلمة (للص = لله) لبساً .
ظلّت (الهاء) ترسم في الخط العربي على هذا الشكل مدة طويلة لقد أشرت إلى ذلك في كتابي :

Silver Hoard of Damascus, P. 159

وأبنت أن هذه (الهاء) عربية قديمة . أما الهاء في أول الكلمة أو وسطها ، فهي لا تزال مختلفة بعض الشيء عن الخط العربي .

١٠ – (الدال والذال) رسمتا قريبا من رسم (الراء) ولكن مع يبوسة ٦ هذا الحرف غير متطور بعد .

١١ – (الزاي) رسمت متصلة في كلمة (نزرو) بشكل مستقيم ، لم تتطور بعد .

١٢ – (الحاء) رسمت نبطية غير متطورة ٧٩ . عندما تطورت جُزمت من نصفها

---

(٩) Walker : Catalogue of Muhammadan Coins (Arab - Saanian) London, 1941. Nos. 8, A N S. 1, ETN 3, RB. 3, P. 1 and T. 5

أي قطعت واستغنيِ عن القسم الثاني، فأصبحت شبيهة بالجيم .

• • •

تفسير النص :

١ – هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كله الذي ١) حاز٢) التاج٣) .

٢ – وملك [عشيرتي] بني اسد٤) و[قبيلة] نزار وملوكهم ، وهزم٥) قبيلة م[ـذ] حج٦) القوية٧) وجا [ء] .

٣ – يزجي٨) في حبج٩) نجران١٠) مدينة [الملك] شَمِر١١) (أو شمّر) وملك [قبيلة] معدّ و [موضع] بنان١٢) [وأطاع]١٣) بنيه١٤) .

٤ – الشعوبَ ، ووكلهم١٥) [الـ] فرس [لمجابهة] [ا] لروم١٦) . فلم يبلغ ملك مبلغه١٧) .

٥ – قوةً . هلك سنت١٨)٢٢٣١٩) يوم٠سبعة٢٠) كسلول٢١) ليسعد٢٢) (أو بسعادة) أولاده٢٣) .

دراسة لغوية :

درس هذا النص وترجمه كثير من العلماء، ولكن النص لا يزال بحاجة الى مزيد من المراجعة والتفنيد لبعض الكلمات والجمل الغامضة . ـأحاول أن أعطي بعض التعديلات فيما يلي متتبعا الأرقام التي وضعتها فوق الكلمات : ١)، ٢) ... راجيا أن أكون موفقا بعض الشيء . الفت النظر أولاً إلى وجود حرف (الواو) زائدا في آخر الأسماء الأعلام (عمرو ، نزرو ، مذ حجو ، معدّو،فرسو) هذا مألوف بالآرامية ويدل وجود الواو في الكتابات النبطية المتأخرة على التقارب بين فروع الخطوط السامية (من أصل آرامي) مستشهدين بهذا الموضوع مرة أخرى :

١) ذو : في النص تعني باللغة العربية (الذي) إذا كان تقدير الكلمة التي بعدها فعل ، والا فان معناها لا يختلف عنه في اللغة العربية المتطورة ، وهو بمعنى (صاحب حيازة التاج) .

٢) أسر : باللغة العربية حصل على الشيء واحتفظ به ، ومن هذا المعنى تاتي كلمة (الأسر) في الحرب و (الاسير) ... في النص يصحّ استعمالو كلمة (حاز). لا أدري لماذا نقلت(١٠) الكلمة الىحروف عربية في سجل الكتابات العربية (أصر) مع أنها كتبت بالسين وترجمت صحيحة .

٣) التاج: كتبت بالنص (التج). هذا مألوف أيضا في كلام العرب ، ولكن على الاغلب في الأسماء الأعلام مثل الحرث وسليمن ونجرن ... يلاحظ في الكتاباتالسامية أنه لا يوجد اهتمام بالحروف الصوتية ، وقد استمر ذلك في الكتابات العربية حتى العهد الاموي . أهم مثال على إهمال الألف في الاسماء الاعلام وغير الأعلام كتابة بيت جبرين العربية التي سنتحدث عنها في بحث قادم .

---

(١٠) عندما تنقل كتابة من شكلها القديم الى حرف هذا العصر يطلق على هذا العمل Transcription ؛ وعندما تقلد الكتابة بشكلها القديم او ينسخ رسمها نطلق على هذا العمل استنساخا Facsimile

٤) الأسدين : وردت على هذا النحو في النص ويظن أن المقصود (فرعان من قبيلة) بني أسد ، اعتبرها مترجمو السجل جمع مذكر سالم (الأسدين) ؛ أما Cantineau [11] فقد ترجمها صحيحة بالتثنية .

٥) هزم : وضعت للتعبير عن (هرب) الواردة في النص ؛ ويمكن ان نضع كلمة اخضع على نحو ما ترجمها Dussaud أو كلمة (مزق شمل) على نحو ما ترجمها Cantineau ومترجمو النص في سجل الكتابات العربية R C E A لكنا نفضّل (هزم) لقربها من معنى (هرب) .

٦) م[ذ]حج : لم يذكر الحرف الثاني في النص الاصيل . وقد ظن ولفنسون أن الكلمة (مزحج) فقرأ نصف حرف (الحاء) زايا : [13] وقرأها سابقا دوسو (محج) لكنه عاد سنة ١٩٥٥ Pénétration فقرأها م[ذ]جح بناء على تصحيح Peiser [12] .

٧) عكدي : راجعت هذه الكلمة في القاموس المحيط فوجدت : (العَكَدَة) وهي العصعص والقوة: أي أن سلامة العصعص في الجسم يعطيه قوة.ووجدت (المُعْكَد) بمعنى الملجأ : أي يلجأ اليه لقوته وقدرته على الحماية . يقال (استكعد الطائر)اذا انضم الى ما يحميه مخافة الجوارح . إنما يؤيد هذا المعنى ورود الكلمة مرة ثانية في أول السطر الأخير كما سيأتي بيانه .

ولفنسون[13] أراد أن يعطي وصف القوة لامرىء القيس ، بينما أرى أن الوصف يراد به بيان أهمية قبيلة مذحج التي هزمها ، وهذا يدل على قوته الفائقة.

أما الترجمة الفرنسية التي وردت في سجل الكتابات العربية وعند Cantineau فهي (حتى هذا اليوم). ربما اعتبر هؤلاء المترجمون الكلمة نبطية فترجموها على هذا النحو ، ولكن لما كان النص عربيا والكلمة (عكدي) أصل في العربية فانه يحسن تبني المعنى العربي .

٨) بزجي[14] أو نزجي : يمكن أن تقرأ الكلمة على هذا الشكل ، ولكن ربما كان الأصح أن تكون (يزجي) بالياء . راجعت الكلمة (زجا) و (أزجى) في القاموس المحيط، فوجدت معناها موافقا للنص : يقول الفيروزبادي (زجاه) ساقه ودفعه كزجّاه وأزجاه ... ثم يقول (الزجاء) النفاذ في الامر . يكون المعنى اذا صحّ أن تستعمل كلمة (يزجي) : « وجاء امرؤ القيس بعد أن هزم قبيلة مذحج القوية يزجي (أعداءه) في حبج نجران و ...» = أي يسوقهم ويدفعهم حتى أحاط بنجران .

٩) حبج : لم يورد أحد المقصود من كلمة

---

[11] J. Cantineau : Le Nabatéen, II, P. 50

[12] F. E. Peiser : Die Arabische Inschrift von en - Nemara [Orientalishe Litteratur-zeitung 1903, P. 279]

[13] المرجع نفسه ص ١٩٠ وذلك بناء على راي ليدزبارسكي .
Lidzbarski : Ephemeris, Vol II, P. 35.

[14] فككت في سجل الكتابات (برجاي) .

حبج • وقد وجدتها في القاموس المحيط (حبج) = بدا وظهر بغتة ، (أحبج) دنا واكتنف • نعتقد أن المقصود بحبج نجران ظاهرها وما يحيط بها : أي أن امرأ القيس طارد أعداءه حتى أحاط بنجران • وقد وفق مترجمو السجل إلى هذا المعنى تقريبا •

١٠) نجران : رسمت في النص بدون ألف •

١١) مدينة شَمِر : تعتبر كلمة (مدينة) بدل من (نجران) وهي مدينة الملك شَمِر أو شَمّر ، أني الفظها بالشكل الاول عند Dussaud(١٥) وقد ذكر تأييدا لقراءته رأي J. RYKMANS (١٦) بأن شَمِر المذكور في هذه الكتابة لقي نهايته وأبيه سنة ٣٢٠ م ، وأني لفظها بالشكل الثاني (شمّر) في سجل الكتابات R C E A .

١٢) بنن : وردت على هذا النحو في النص ، لكن ولفنسون قرأها (نزل) وفسرها أن امرأ القيس (قسم) بين بنيه الشعوب بعد ما انتصر عليهم • الحروف لا تساعد أبدا على قراءتها (نزل) •

أماواضعو السجل R C E A . فقد نقلوها (بيّن) وترجموها أيضا بمعنى (قسم) • لا أظن ان الكلمة (بيّن) ولو كانت كذلك لرسمت على الشكل بينما هي مرسومة في النص (انظر الى رسم جميع الياءات المتصلة في النص تجدها مرسومة معوّجة على الشكل ( ) • ولو سايرنا من قرأها (بيّن) فإنا نرى معناها (أظهر) أو (أبرز) ، ويكون المعنى أن الشعوب أبرزوا بني امرىء القيس ، وذلك باحترامهم وإطاعتهم •

أرى أن الكلمة (بنان) وهو موضع في ديار بني أسد بنجد(١٧) • فاذا اعتبرنا الكلمة اسم علم ، فان المعنى يتم بأن تضاف الكلمة الى معدّ التي ملكها • ولكن في هذه الحال يجب أن نقدر نقصا في النص. ارتأينا ان نسدّ الثغرة بما يلي :

١٣) [وأطاع] يكمل المعنى بذلك فيكون : هزم وملك كذا وكذا وأطاع بنيه الشعوبً ، الكلمة الاخيرة وردت في السطر الرابع •

١٤) إعراب (بنيه) مفعول به مقدم (الشعوبٌ) في السطر الثاني فاعل مؤخر •

١٥) ووكلهن • من الغريب ان يأتي الضمير الجمع للمذكر في هذه الكلمة بالنون عوضا عن الميم مع أن الضمير بالميم ورد في كلمة (ملوكهم) • هذا تأثر واضح من اللغة الآرامية ، ففيها يكون الضميرالجمع للمذكر بالنون لا بالميم •

١٦) ووكلهن فرسو لروم : هذه الجملة قرئت وترجمت علىأشكال عديدة، يحسن أن نستعرض بعضها : دوسّو في مرجعه الأخير سنة ١٩٥٥(١٨) : « ووزّعهم [امرؤ القيس وزع الشعوب] بين الفرس والروم » •

---

(١٥) R. Dussaud : La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam, Paris, 1955

(١٦) J. Rykmans : l'Institution Monarchique, P. 311.

(١٧) ياقوت : معجم البلدان ج١ ص.٧٤٠ (ط . ليبزغ) .

(١٨) R. Dussaud : La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam, P. 64.

كليرمون غانو(١٩) : « وقسمهم [القبائل] بين الفرس والروم » •

بيزر(٢٠) : وترك [القبائل] للروم » •

كانتينو (٢١) : قرأ (فرسو) (فارسو) بمعنى (فرسان) وقـال : « جهز امرؤ القيس هذه القبائل كفرقة فرسان لصالح الرومان» هذ ه الترجمة مغلوطة ولاتنسجم أبدا مع المفهوم التاريخي للعصر •

سجل الكتابات العربية (٢٢) : وجعل (أولاده) كممثلين (معروفين) لدى الفرس والروم • القصد من ذلك ان يجعل امرؤ القيس اولاده معروفين بنفوذهم لدى القبائل من جهة ولدى الدولتين الكبيرتين من جهة أخرى •

بعد استعراض هذه الترجمات ومفاهيمها نجدها بعيدة عن المعنى المطلوب ، وخاصة فان هؤلاء العلماء لم يتنبهوا لمعنى (وكلهم) • أنا أرى أن امرأ القيس بعد ما وصل إليه من قوة ونفوذ فإن الفرس الذين يرتبط بهم امرؤ القيس قد قدروا قيمته وقيمة أولاده فأوكلوا اليهم أمر مجابهة الروم وتكون الجملة باختصار « ووكلهم الفرس لـ [مجابهة أو صد] الروم (عن مناطق النفوذ التي كسبها امرؤ القيس وبنوه)» •

هذه الترجمة تنسجم مع الأحداث التاريخية بين دولتي الفرس والرومان وعلاقاتهما بالممالك العربية الموالية لإحداهما ضد الأخرى •

١٧) فلم يبلغ ملك مبلغه قوة : هذه جملة كاملة عربية خالصة بليغة ، حروفها متصلة وهي قريبة جدا من الحروف العربية ، وهي تنفعنا في البحث الذي سنورده بعد قليل عند مناقشة نشوء الخط العربي • أما (عكدي) بمعنى (قوة) فقد وردت معنا سابقا ، وهي تكمل معنى الجملة ، وتأتلف معها ، وتزيدنا يقينا بمعناها العربي •

١٨) سنت : أكتبها هنا بالتاء المفتوحة ; لأن التاء الاخيرة والتاء في أول الكلمة مثل (= ني) والتاء في وسط الكلمة مثل (= التج) تكتب جميعها على شكل واحد ; لذا عندما تطورت الكتابة إلى العربية ظلت الكلمة بالتاء المفتوحة • وقد وجدت على نصوص قبل الإسلام بالتاء المفتوحة (كتابة حران وكتابة أسيس) وعلى كتابات مبكرة بعد الإسلام (٢٣) •

---

(١٩) Clermont -- Ganneau : Recueil d'Archéologie Orientale, VOL. VI, P. 308.

(٢٠) Peiser : Die arabische Inschrift von en-Nemara [Orientalische Litteratur - Zeitung. 1903, P. 280].

اشكر الاستاذ علي ابو عساف الذي ترجم النص الالماني هذا وبعض النصوص الاخرى .

(٢١) J. Cantineau : Le Nabatéen, Vol II, 1932, P. 50.

(٢٢) Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, T I, P. 2, No. 1.

(٢٣) اليكم مثالين :

١ ـ الكتابة المحفوظة في متحف الفن الاسلامي في القاهرة وهي مؤرخة من سنة ٣١ هـ. نشرت في :

Répertoire chronologique d'Epigraphie Arabe, Vol. I, No. 6.

Grohmann : Arabische paläographie, Vol. II. P. 71, No. 3.

٢ ـ كتابة الطائف وهي مؤرخة من سنة ٥٨ هـ نشرها في الاصل :

Miles : Early Islamic inscriptions near Ta'if in the Hijaz, P. 277, fig. 1, pl. XVIII. A.

١٩) التاريخ تفصيله :
= ٢ ، = ١٠٠ ،
= ٢×١٠٠ = ٢٠٠ ، = ٢٠ ،
= ٣ ، المجموع ٢٠٠+٢٠+٣= ٢٢٣ وهو في التقويم النبطي الذي يبدأ من تأسيس بصرى الشام الواقع في سنة ١٠٥ م ، يعني : ٢٢٣+١٠٥ = ٣٢٨ م •

٢٠) = وهي (٥) + (٢) = ٧ •

٢١) كسلول في التقويم النبطي يعادل شهر كانون الاول في التقويم الميلادي •

٢٢) بلسعد = بالسعادة او بسعادة وهو دعاء بالسعادة لاولاده • يمكن ان نعبر عن ذلك ايضا بالتركيب الدعائي (ليسعد) •

٢٣) ذو ولده : الترجمة الحرفية (الذي [هو] ولده) وهو يعني (أولاده) •

دراسة تاريخية :

هذا النص هام جدا لانه مؤرخ ويحمل اسم ملك امرىء القيس اللخمي وأسماء القبائل : أسد ونزار ومعدّ والمناطق التي اتسع اليها نفوذه ونفوذ أولاده كنجران وبنان . وهو يحدّد العلاقات بين الفرس والروم وخاصة على التخوم الشامية التي وجدت فيها الكتابة •

* * *

كتابة معبد رم :

يقع جبل رمّ على بعد ٢٥ ميلا الى شرقي العقبة • قام بالتنقيب في المعبد سافينياك وهورسفيلد[٢٤] وقد وجدا فيه كتابة عربية هامة جدا من حيث تطور الحروف نحو العربية • لم يقرأ الباحثان هذا النص ، ولم نعثر على قراءته في احد المراجع • نشره اخيرا الاستاذ غروهمان[٢٥] ، لكنه لم يقرأ الا بعض الكلمات التي لها علاقة بالدراسة الباليوغرافية ، ومع ذلك فانا لا نوافقه على قراءته هذه الكلمات كلها •

تأمل صورة الحجر المنقوش في اللوح ــ ١

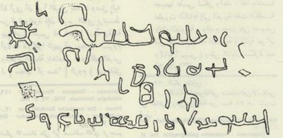

الشكل ــ ٣

---

[٢٤] M. R. Savignac et G. Horsfield : Le Temple de Ramm (Revue Biblique XLIV (1935), fig. 21, P. 270)

[٢٥] A. Grohmann, Ibid, P. 16, fig. 1

النص غير مؤرخ ، لكن غروهمـان اعتمادا على ليتمان(٣٦) ونبيهة عبود (٣٧) حدد تاريخـه بين ٣٢٨ و ٣٥٠ م • (اللوح ١ ـ الصورة ١)•

تفكيك النص :

١)-عليو خليصي •
٢) بر هبارك (او مبارك) •
٣) حبيبو (عزا) ام اللمة سطى و ك •••

دراسة باليوغرافية :

١ ـ (عليو) و (حبيبو) اخذتا في آخرها (الواو) المعهودة في اللغة الآرامية •

٢ ـ الحروف متصلة في الكلمات بشكل متطور ما عدا كلمة (هبارك) أو (مبارك) فان الحرف الاول منفصل • يعني هذا أن الاتجاه نحو القاعدة الجديده لم يستقر بعد •

٣ ـ (الـكاف) في أول الكلمة رسمت جيدا في الحرف الاول في آخر النص لكلمة غير تامة • اما في كلمة (مبـارك) فقـد اختلطت الكاف بحرف طفيلي (٢٨) •

٤ ـ (الراء) في كلمـة (بـر) رسمت بشكل غريب غير مألوف ، لـولا أن مـكان الكلمة يشجع على قراءتها (بـر) فإني أستبعد قراءتها بهذا الشكل ، لأن (الراء) وردت في النص نفسه في كلمة (مبارك) بشكل ء جيد وكذا (الزاي) في كلمة (عزا) • هـ أيضا يدل على ان القاعدة الجديدة لم تر في الاستعمال •

٥ ـ (الألف) مائلة الى الأيمن في(مبا و (عزا) وهي مائلة الى الايسر في كلمة (أ، وهي قائمـة على السطر في كلمة (اللمّة هذا طريف جدا في ملاحظة التطور •

٦ ـ (الميم) في (أم) و (اللمّة) ر مختلفتين • في الكلمة الاولى أقرب الى ال العربي وفي الثانية تحتفظ بالشكل النبطي هو الامر في كتابة أم الجمال الاولى •

٧ ـ (السين) رسمت بالشكل العر تماما، وهذا يدحض نظرية (ميليك ـ ستاركي التي سنشير اليها •

٨ ـ (الخاء) في كلمـة (خُلَيْنصي رسمت كالكاف ، سنشير الى ذلك في الدرا اللغوية •

• • •

يعتبر هذا النص في غاية من الأهمية مـ الناحية الباليوغرافية ، لانه يهيىء مرحلة انتق بين الكتـابة بالخط النبطي والكتـابة بالخ العربي •

تفسير النص :

١) علي [الـ]خُلَيْنصي
٢) بن مبـارك ٤
٣) حبيب (عزءًا) أو (عزّة) أمّ اللـ
سطا وكـ[ـفا] •

---

(٢٦) في رسالته للاستاذ غروهمان المؤرخة في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ .

(٢٧) Nabia Abbott : The rise of the North Arabic script and its Kuranic develpment with a full description of the Kur'an manuscript in the Oriental Institute. Chicago, 1938, P. 5.

(٢٨) في الطرف الايسر وبـين السطريـن الثاني والثالث حروف صغوية من نص آخر .

دراسة لغوية :

— (علي) و (مبارك) اسما نعلمان عربيان ، (خُلَيْصي) شهرة علي ، ينتسب الى (خُلَيْص) وهو حصن بين عُسْفان وقديد من اليمن (القاموس المحيط ، ج٢ ، ص ٣٠١) أو بين مكة والمدينة (ياقوت ج١ ، ص ٧٤٠) .

(أم اللمة) كنية المرأة (عزّا أو عزّة) .

٢ — (سطا) كتبت (سطى) بالألف المقصورة، وتعني أن عليًا سرق شيئا ، أو اعتدى على عفاف أم اللمّة .

٣ — (عزا ؟) هذه الكلمة لا تزال بحاجة الى مناقشة . لدى عدة احتمالات :

آ — يجوز ان يكون المرأة المكناة أم اللمة (عزة) ، اخطأ الكاتب عندمانقش اسمها (عزا)بالالف.

ب — حسب مفهوم النص وخاصة ورود كلمة (سطا) يمكن أن تقدر ان علي مبارك حبيب عزّة أو اللمّة سطا على عرضها أو على شيء ثمين تملكه و (ك....).

جـ — يجوز أن تكون الكلمة([أ]غرى) كتبت خطأ بالألف الممدودة . لا يزال المعنى يحوم حول فضح علي بعمل غير شريف .

د — يجوز أن يكون (عرا) من العار وهي صفة ألصقت بأم اللمّة لأنها استسلمت لحبيبها .

— و (ك ...) فعل يبدأ بحرف (الكاف) يجب أن يعطي معنى الفرار والهرب وخاصة بعد أن سطا علي على شيء ثمين، وجدت كلمة مناسبة وهي (كتّفا) .

• • •

دراسة تاريخية :

ليس في هذا النص تاريخ ولا اسم شخص له دور في التاريخ ، ولكن إذا كانت القراءة صائبة فله أهمية من الناحية الاجتماعية .

* * *

كتابة أم الجمال الثانية :

وجدت هذه الكتابة منقوشة على حجر بازلتي ٦٢×٣١ سم في المبنى الذي يطلق عليه (الكنيسة المزدوجة) ، وكان هذا الحجر ناقصا ومغطى بالملاط مما يدل على أن الحجر مستعمل في المبنى كحجر غشيم ، وهو أقدم منه .

نشر هذه الكتابة غير المؤرخة الأستاذ ليتمان[٣٩]، ثم أخذها عنه سجل الكتابات العربية وغروهمان وغيره . وقد قدّر ليتمان تاريخها بالقرن السادس الميلادي . سنرى من الدراسة الباليوغرافية التي سنعرضها فيما يلي أن في هذه الكتابة أثرا واضحا من الخط النبطي ، وأخصّ بالذكر (الراء) و (الدال) و (الياء) الأخيرة في كلمة (عمري) ، لذا فاني أرى أن هذه الكتابة تعود إلى آخر القرن الرابع أو أول القرن الخامس الميلادي على الأكثر . لهذا السبب وضعت هذه الكتابة في هذا الموضع بالترتيب . ومن العجيب أن من درس هذاالنص من العلماء لم يعترض أحد منهم على تأريخه بالقرن السادس الميلادي ؟

---

(٣٩) E. Littmann : Syria, Div. IV, sec. D (Arabic Inscriptions), Leiden, 1949, P. 1, No. 1

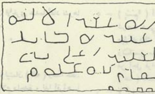

تفكيك النص :

١) إلهِ غفراً لأثيم
٢) بن عُبَيْدَةَ" كاتب
٣) العبيد أعلى بني
٤) عـرى يَتَمٌّ عنه من
٥) ؟ ؟ ؟

دراسة باليوغرافية :

١ — (الألف) عربيةسوية مائلة إلىالأيمن(٣٠)

٢ — (اللام) وقد وردت دائما في الوسط ، وهي متطورة تماما منذ عهد كتابة النمارة .

٣ — (الهاء) الاخيرة مثل الحرف الفهلوي (∽) وقد أشرنا إلى ذلك سابقا. وهي هنا واضحة في (إلهِ) و (عبيدة) و (عنه) . أما الكلمتان التي قرأهما ليتمان وقدّر الحرف الأخير فيهما هاء : (لأليه) و (تنبه) ، فأنا أخالفه تماما، لأن هذا الحرف (ميم) لا (هاءأخيرة).

٤ — (الراء) و (الدال) كتبتا في جميع الكلمات بالحرف النبطي ، ولهذا السبب قدّمنا تاريخ هذا النص .

٥ — (يَتَمٌّ) في السطر الرابع : الحرف الاول (ياء) فيه تأثر من الخط النبطي ، افحص نقش النمارة جميع الياءات سواء أكانت في أول الكلمة أو وسطها بها عوج ، أما قراءتها (تاء) كما فعل ليتمان فهو غير مناسب .

٦ — الكلمات (بن) و (كاتب) و (اعلى) و (بني) و (عنه) كتبت بالخط العربي المتطور . وهنا أفضّل أن أقرأ (بن) بالنون لا بالراء ، لأن (الراء) رسمت في النص بالخط النبطي .

٧ — الكلمة (مَنْ) كتبت نونها بشكل مغاير لنون (بن) ؛ مع ذلك لا مجال لقراءتها بغير هذا الشكل .

لا ندري لعل في المتنسخ شيئا من الخطأ .

٨ — لقد ذكر ليتمان عدّة قراءات اسهم بها علماء الخط ، وهو نفسه نشرها سنة ١٩٢٩ ، لكنه عدّل قراءته الاولى ، ولم

---

(٣٠) هذا الميل بالالف بقي في العهد الاسلامي ، واشتهر الخط المكي والخط المدني بهذا الميل . (ابن النديم : الفهرست ، ط فلوغل، ص ٦) .

يقرّ القراءات الأخرى عندما أعاد نشرها سنة ١٩٤٩ .

. . .

دراسة لغوية :

١ — (إلهِ) قرأها ليتمان (الله) وهذا خطأ. لأن الكلمة بلام واحدة . لذا أقرؤها (إلهِ) وهي مرخّمة عن الأصل (إلهي) .

٢ — (لاسه) قرأها ليتمان (لأُلَيْه). الحرف الاخير ليس بهاء كما ذكرت سابقا ، لذا يجب ان تقرأ بما يتناسب مع الميم ، وقد قرأتها (لأثيم) مؤقتا ريثما أجد كلمة أنسب . ومن المعروف أن العرب كانوا يسمّون أبناءهم بأسماء غير مستحبة مثل اسم (ظالم) الوارد في نص حرّان اللجا الذي سيأتي فيما بعد وكثير من الأسماء العربية مثل (صخر) و (صفوان) وما إليها جرى العرب على ذلك ، لأن الولد مهيأ للعدوّ لالهم ، أما العبد فهم يسمونه بأسماء جميلة لانه لهم .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فاني أشكّ أن يكون (أُلَيْه) اسم علم . لم أعثُر حتى الآن على مثل هذا الاسم عند العرب ، وقد قاس ليتمان ذلك على (مُلَيْك) تصغير (ملك) .

٣ — (العُبَيْد) قرأها سجل الكتابات (الخُلَيْد) . أنا أفضل قراءة ليتمان (العُبَيْد) .

٤ — (نَمي) يقصد بها (ملك) أو (رئيس).

٥ — (يَتَمُّ) أفضل قراءتها كذلك كما شرحت في الدراسة الباليوغرافية ، ويؤكد ذلك كلمة (عنه) التي أتت بعدها وتكمِل معناها . وقد اضطر ليتمان من أجل قراءة (تبه) أن يجعل كلمة (عنه) ناقصة ليقرأها عل[ـيـ]ـه .

٦ — لا أرى ضرورة لتقدير الكلمة أو الكلمات الأخيرة في السطر الخامس لأن بقايا الحروف لا يمكن أن تعطي أيّة فكرة .

. . .

دراسة تاريخية :

بالرغم من وجود اسمين علمين ووظيفة العلم الأول ومرتبة العلم الثاني واسم القبيلة ، فإنه من الصعب أن نهتدي إلى دور هذين الشخصين في الأحداث التاريخية القديمة ، ولكن قد يكتشف يوما ما نص آخر يوضّح هذا الدور .

* * *

كتابة زبد :

تقع (زبد) بين قنسرين والفرات ؟ الكتابة محفورة على حنت كنيسة مع كتابة يونانية وأخرى سريانية. الأثر محفوظ في متحف بروكسل الخمسيني . الكتابة غير مؤرخة باللغة العربية ، لكنّها مؤرخة من سنة ٨٢٣ بالتقويم السلوقي المعادل لسنة ٥١٢ م . توجد في آخر النص العربي كلمة سريانية قرأها الاستاذ ليدسبرسكي(٣١) (تميمي) ، كان الكاتب يريد ان يقول (تم

---

(٣١) ذكر ذلك اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ١٩١ .
Lidzbarski : Handbuch d. Nordsem. Epigraphik, P. 484.

الكلام) على نحو ما يكتب أحيانا في آخر النص كلمة (تمّت) •

تعود أهمية هذا النص المؤرخ الى وجود أسماء أعلام عديدة ليس من شك في قراءتها ، فهي في هذا الحال تساعد على الدراسة الباليوغرافية ، ولما كانت مؤرخة فهي تحدّد تماما مراحل التطور نحو الخط العربي •

إن مكان وجودها في شمالي سورية يعتبر شاذاً بالنسبة إلى الكتابات الأخرى التيوجدت في جنوبي سورية • هذا بدون شكّ يؤيد عروبة بلاد الشام قبل الإسلام •

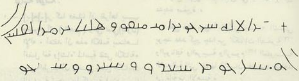

الشكل – ٥

تفكيك النص :

١) [ب]ج[ـبـ]ر الإله شرحو بر أمت منفووهليا بر امرىء القيس

٢) وشرحو بر سعدو وسترو وش[ر]يحو•

دراسة باليوغرافية :

١ — ([ب]ج[ب]ر) فككها ليتمان ومن أتى بعده [بنصـ]ـر ، لكني فحصت الصورة الفوتوغرافية الواضحة التي نشرها أخيرا غروهمان سنة ١٩٧١فوجدت أن (الجيم) واضحة ولها امتداد إلى اليمين يهيّئها للاتصال بحرف الباء المقدّر • سأعود إلى معنى هذه الكلمة عند التفسير • تأمل صورة الحنت في اللوح – ١

٢ — (الراء) رسمت في النص عربية خالصة دون شذوذ •

٣ — (الهاء) في أول كلمة (هليا) أصبحت عربية متطورة •

٤ — (السين) و (الالف) و (الميم) و(التاء المبسوطة) و (التاء المتوسطة) و (العين المتوسطة) و (الحاء) و (القاف و(الفاء) و (العين) ••• كل ذلك لا يختلف عن أي نص عربي بعد الإسلام • أما (السين الأخيرة) في كلمة (القيس) فإن جميع من نشر هذا النص لم يفحص جيّدا الأصل فهي مكتوبة بأسنانها الثلاث ولكن مع امتداد السن الثالثة إلىالأسفل مائلة الى اليمين، إليكم نسخ القيس (أي تنقص عن السين الأخيرة العربية بعد الاسلام الذيل فقط) •

٥ — (الدال) في كلمة (سعدو) لا تزال تحتفظ بالشكل النبطى •

٦ — (الباء) في أول الكلمة كتبت بشكل عربي ، ولكن شذّت عن ذلك فقط عند كتابتها في كلمة (بن) المرقومة قبل كلمة (سعدو) فقد كتبت معقوفة .

. . .

دراسة لغوية :

١ — [ب][ج][ب]ر كما فضلنا أن نقرأها بسبب وضوح أثر (الجيم) وهي تعني(بعون) الإله . أعتقد أن هذه الكلمة بمعناها أفضل لغة وإنشاءً لمناسبة نقش الكتابة. ومن الطريف أن واضعي سجل الكتابات العربية ترجموا كلمة (بنصر) au secours وهو المعنى القريب من كلمتي المقترحة التي تتفق أكثر مع كلمة (بجبر).

٢ — أمّت : كتبت بالتاء المفتوحة ، وهذا طبيعي في هذا الوقت الذي لا يزال تأثير الخط النبطي موجودا ، وقد أشرنا إلى ذلك عند التحدث عن كلمة (سنت) .

. . .

دراسة تاريخية :

بالرغم من وجود أسماء أعلام متعددة في هذا النص ، فإنها لا تفيدنا من الناحية التاريخية الا أن نشير إلى قيام بعض المؤمنين بانشاء كنيستهم . وهذا يدلّ على ان المجتمع رصين ، وأن الأغنياء أسخياء ينفقون من أموالهم في سبيل الله والمصلحة العامة .

* * *

كتابة أسيس :

جبل أُسَيْس حرّة بركانية ذات فوّهة كبيرة قطرها حوالي ٢ كم ، ينهض إلى جنوبيها جانبها المرتفع وهو جبل أُسَيْس. إلى الجنوب من المرتفع توجد حرّة أخرى واسعة ، خمدت منذ زمن طويل ، ثم انبثق في وسطها براكين عديدة صغيرة .

على قمة جبل أُسَيْس وسفحه الشمالي يوجد عدد كبير جدا من الكتابات الصفوية[٣٢] واليونانية والعربية والرسوم[٣٣] العفوية الابتدائية التي نقشها الانسان، فضمنها مشاهد في غاية من الاهمية .

نشرت بعض الكتابات العربية الهامّة التي التي عثرت عليها في جبل أُسَيْس ، وكانت هذه الكتابة في اللوح ٨٥ . النص ١٠٧[٣٤] . عند قراءة النص لأول مرة لم أنتبه إلى أن التاريخ مكتوب بالنبطية . ومع ذلك فقد ذكرت أن هذا النص ينبغي أن يرقى إلى ما قبل الإسلام . قدّمت نسخة من المقال إلى الأستاذ الدكتور

---

[٣٢] صورت هذه الكتابات واسلمتها الى الأب ميليك سنة ١٩٦٣ من اجل مقارنتها مع ما هو منشور لينشر ما ليس منشورا ؛ لكنني لا ادري حتى الآن ماقعل بها .

[٣٣] نشرت مقالا صغيرا باللغة الفرنسية عن هذه الرسوم .

Les Dessins Rupestres du Gabal 'Usays [SYRIA, vol. XLI (1964), fasc. 3-4, PP. 291 299.]

[٣٤] كتابات عربية غير منشورة في جبل أسيس (مجلة الابحاث الصادرة عن الجامعة الامريكية في بيروت : السنة ١٧ : (١٩٦٤) ، ج٣ (ايلول) : ص ٣٠٢ ؛ السنة ١٨ (١٩٦٥) ، ج٢ (حزيران) ص ٢١٦ — ٢١٧) .

غروهمان، فكتب لي رسالة يثني(٣٥) على البحث، ويلفت نظري إلى التاريخ بالنبطية ، وقد صحّح لي كلمة (مُسَلَّحَهْ) بكلمة مَسْلَخَةَ)، وقد قبلتها يومئذ ، وأعدت نشر الكتابة على هذا الأساس . لكن الأستاذ غروهمان عندما نشر هذه الكتابة سنة١٩٧١ (٣٦) قرأ الكلمة مسلحه)، سأناقش هذا الموضوع في مكانه .

تعتبر هذه الكتابة أهمّ الكتابات العربية قبل الإسلام لتمائلها نحو التطور العربي ، وهي أكمل تطورا من كتابة حران التي كتبت بعدها بأربعين سنة . هذا من الناحية الباليوغرافية ، وأما من الناحية التاريخية فهي أيضا مهمّة جدا لدلالتها على تأزّم الموقف بين مملكتي الحيرة وغسّان . وبالتالي بين الامبراطوريتين العظيمتين إيران وبيزنطة .

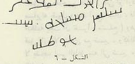

الشكل – ٦

قارن المستنسخ مع الصورة – اللوح – ١

١) ابرهيم بن مغيرة الأوسي
٢) ارسلني الحرث الملك على
٣) سليمن مُسَلَّحَهْ سنت
٤) ٤٢٣ نبطي = ٥٢٨ م

. . .

دراسة باليوغرافية :

١ – (الألف) رسمت عربية مستقيمة مع ميل خفيف في (ابرهيم) ؛ و (ارسلني)، ومائلة مع تعويجة بسيطة في أسفلها في كلمتي (الاوسي) و (الحرث)وقائمة مع تعويجة واضحة في كلمة (الملك) .

٢ – (الراء) رسمت عربية في كل الكلمات وقد تميّزت بوضوح عن (النون) في كلمتي (بن) و (سليمن) . وإني لأعجب كيف ظلّ الأستاذ غروهمان يقرأ كلمة (بن) بلفظ (بر) . مع أن الفرق واضح . وهذه النقطة بالذات تجعلني أؤكد سلامة الخط العربي وتخلّصه من رواسب الماضي منذ ذلك التاريخ .

٣ – (الهاء) في (ابرهيم) وقد رسمت بعقدة واحدة . لم أر لهذه الهاء المتصلة مثيلا. أما (التاء المربوطة) المنفردة في آخر كلمة (مغيرة) فقد كتبت بالشكل المتطور، وكذا (الهاء) في آخر كلمة (مُسَلَّحَهْ) .

٤ – (الياء) الأخيرة او (الألف المقصورة) في الكلمات (الاوسي) و (ارسلني) و (على) رسمت لأول مرة بشكل مرسل واين إلى الامام ، ولم ترسم بهذه الصورة فيما بعد إلا نادرا .

٥ – (السين) في الكلمات (الاوسي) و (ارسلني) و (سليمن) و (سنت) رسمت بالخط العربي ؛ أما السين في (مُسَلَّحَهْ) فقد أتت الأسنان غير منتظمة : السن الأولى قائمة تخترق الخط الأفقي ؛ السن الثانية مائلة الى اليسار،

---

(٣٥) وخاصة لأني قدرت أن النص يعود الى ما قبل الاسلام دون انتباهي الى التاريخ الصريح.

(٣٦) المرجع نفسه ، ص ١٧ .

الثالثة مائلة الى اليمين. الأستاذ غروهمان يعتقد أن الاسنان في هذه الكلمة أربع، لذلك قرأ الكلمة (مستلحه) . أظن ان السن الثانية عنده موهومة ، وهي في الصورة الفوتوغرافية مختلطة مع تموجات وخربشة الحجر . إن الكلمة لا يمكن ان تقرأ أبدا كما ذكر (مستلحه) سأعود الى ذلك في التفسير .

٦ — جميع الحروف الأخرى كتبت سويّة بالخط العربي . وظلّت كلمة (سنت) تكتب بالتاء المفتوحة — كما اشرنا الى ذلك سابقا — .

. . .

دراسة لغوية :

١ — لا شيء غامض في هذا النص الا كلمة (على) ؛ كان الأنسب أن تكون (إلى)، ولكن مع ذلك يمكن أن تعتبر لثغة في (إلى) بإحدى اللهجات العربية ؛ لأن هذا التركيب وضع (على) في موضع (إلى) لا يزال موجودا في كلام العرب حتى الآن ، وأخصّ بالذكر أهالي المنطقة الشمالية من سورية .

فهم الاستاذ غروهمان من استعمال كلمة (على) أن الملك الحرث أرسل ابراهيم بن مغيرة الأوسي ضد سليمن محاربا إياه [٣٧] .

لا أظن أن الأستاذ غروهمان أصاب بهذه القراءة : أعتقد أن الملك الحارث ارسل إبراهيم إلى سليمن (مُسَلَّحَه) أي ناقلا اليه السلاح ، ليقاوم الخطر الجاثم على الحدود ، وإن كلمة (على) لا تغيّر مفهوم النص الى هذا الحدّ . فلو كان الأمر كذلك لذكر اسم العدو كاملا اذا كان يعرفه ، واذا كان لا يعرفه ، فإنّه ليس من داع الى ذكر اسمه الأول فقط. إن ذكر اسمه على هذا الشكل يدلّ على أن اسم الرجل مألوف ، وقد نقل اليه السلاح عدة مرات بواسطة إبراهيم أو غيره ، وسجّلت هذه المرة السنة . واذا عرفنا أن الحرب وقعت بين مملكتي الحيرة وغسّان سنة ٥٢٩ م أي بعد مرور سنة واحدة أو بعض السنة من نقش هذه الكتابة يمكن أن ندرك سلامة قراءتنا لهذا النص . أما كلمة (مستلحه)[٣٨] التي ذكرها غروهمان بمعنى محارب، فليس لها أي أصل في معاجم اللغة ، حتى لو أردنا مسايرته بقبول وجود أربع اسنان ، فان الكلمة يجب أن تقرأ (متسلح) وهي فعل لازم لا يتعدى مع ضمير ، وكذلك لا يضاف اسم الفاعل منه الى ضمير .

٢ — التاريخ = ٤٠٠ ، = ٢٠ ، = ٣ ، المجموع ٤٠٠ + ٢٠ + ٣ = ٤٢٣ بالتقويم النبطي = ٤٢٨ م .

---

(٣٧) أدين للاستاذ علي ابو عساف الذي ترجم لي النص الالماني .

(٣٨) لقد ورطني الأستاذ غروهمان بأن صحح لي كلمة (مُسَلَّحَه) بكلمة (مُسَلَّخَة) وكنت قبلتها سنة ١٩٦٥ لاني كنت عندئذ في نيويورك مشغولا ببحث المسكوكات . وهنا يجب ان اشير الى ان كلمة (سَلْخ) صحيحة وتعني آخر السنة او الشهر كما وردت في النصوص . اما (مُسَلَّخَة) بهذا المعنى فليس لها أصل .

دراسة تاريخية :

١ — في سنة ٥٢٩ م وقعت الحرب ، وانتصر الملك الحرث بن جَبَلة(٣٨ مكرر) ، على ملك الحيرة المنذر الثالث بن ماء السماء ، فسمت منزلته لدى القيصر البيزنطي ، وقد كافأه بأن رفع مرتبة ملكه ، فأصبح (فيلارك) حاكم جميع العرب في سورية.

٢ — من هو (إبراهيم بن مُغيرة الأَوسي) بحثت عنه فلم أجد شيئا ولكن نسبته (الأوسي) تلفت النظر ، ونحن نعرف أن الأوسيين يشكلون جانبا هاما من سكان يثرب (المدينة المنورة) • يبدو أن صلاتهم كانت حسنة مع الغساسنة . فكانوا يؤدّون لهم خدمات عسكرية • سنرى في نص حرّان أن الملك الغساني الحرث بن جَبَلَة يغزو خيبر اليهودية سنة ٥٦٧م ، ألا يجوز ان يكون اليهود اعتدوا على أهل يثرب فانتقم لهم الغساسنة ؟ •

* * *

كتابة حران :

حرّان اللجا تقع شمالي جبل العرب ، نقش النص على حنت باب كنيسة بالعربية إضافة الى النص اليوناني الذي يقول « أسس أشرحيل بن ظالم سيّد القبيلة مرطول مار يوحنا في سنة أربعمئة وثلاث وستين من الاندقطية الاولى ليذكر الكاتب » •

هذا النص هام لأنه مؤرخ ويشير إلى معركة جرت بين أحد الأمراء الغساسنة وأهالي خيبر اليهود ، وهو يحمل اسم باني الكنيسة شرحيل بن ظالم •

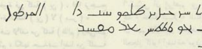

A. Copie de P. SCHROEDER, ZDMG XXXVIII (1884)

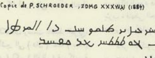

B. Copie de Dussaud et Macler, Mission..., 1903

الشكل ـ ٧ (ا و ب)

(٣٨ مكرر) : ذكر الدكتور جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ـ بيروت ١٩٦٩ ، ج٣ ص ٤٤٢ لائحة نولدكه بالملوك الغسانيين ، فجعل حكم الحرث بن جبلة يبدا بسنة ٥٢٩ م. ولما كان اسم الحارث مذكورا في هذا النص ، فانه من الضروري جدا ان نصحح هذه اللائحة . هذا في بدء حكمه ، اما نهاية حكمه ، فقد جعلها الدكتور جواد على سنة ٥٦٩ م ، مع ان المراجع الاخرى جعلت النهاية ٥٧٠ م .

تفكيك النص :

١) أنا شرحيل بن ظلمو بنيت ذا المرطول
٢) سنت (٤٦٣ نبطي = ٥٦٨ م) بعد مفسد
٣) خيبر
٤) بعم (أي بعام) •

دراسة باليوغرافيــة :

١ — كنت أشرت إلى أن نص أسَيْس أنضج تطوّرا بالرغم من أنه متقدم على هذا النصّ ، لأن النصّ لازال عالقاً بـه رواسب الماضي كوجود حرف (الواو) في آخر الاسم العلم •

٢ — (الـراء) في الكلمات (شرحيـل) و (خيبر) مختلفة بعض الشيء عن النون الأخيرة في كلمة (بن) ؛ لذا نرجح قراءة الكلمة (بن) لا (بـر) •

٣ — حذفت الألف من كلمة (ظالم) وهي اسم عَلَم ، لكنها حـذفت أيضا من كلمـة (عام) • كما أشرنا إلى هـذه النقطة سابقا •

٤ — جميـع الكلمات رسمت بالخط العربي، وبخاصة أشير الى (دال) كلمة (بعد) و (مفسد) لكن (الذال) في كلمـة (ذا) لينة وهي مقبولة في الخط العربي، لكنها لا تشبه (دال) مفسد •

• • •

دراسة لغوية :

١ — (المرطول) كلمة قديمة لم أجدها في المعاجم العربية فهي معرّبة من اليونانية•

٢ — التاريخ 𐢪𐢮 = ٤٠٠ ، 𐢭 = ٢٠ مكررة ثلاث مرات أي ٦٠ ، 𐢩 = ٣ .المجموع ٤٠٠ + ٦٠+٣=٤٦٣ بالتقويم النبطي = ٥٦٨ م •

٣ — (مَفْسَد) قصِد بها (حرب) أو (معركة) لأن الحرب تفسد كل شيء • وهذا تعبير جميل يـدلّ على كراهية الحرب •

٤ — هذا النصّ نقش بعد عام واحد من غزو الملك الغساني الحرث بن أبي شمّر[39] لمستعمرة خيبر[40] اليهودية في الحجاز•

هذه أيضا معلومات هامة تدلّ على أن اليهود في تلك الديار قوم غير مرغوب فيهم ، وتدلّ أيضا عـلى اتساع نفـوذ الدولة الغسانية الى جزيرة العرب • لقد مرّ معنا في نصّ جبـل أسَيْس أن إبراهيم بن مغيرة الأوسي كان يقدّم خدمة عسكرية للملك الغساني ، يمكن أن نفهم الأوسيين وغيرهـم من العـرب في الحجاز كانوا أيضا يقدّمون مثل تلك الخدمات، وربما كان اليهود قد أساؤوا أو اعتدوا على أهالي يثرب ، فنهض الحرث للانتقام لهم ، فغزا ديارهم وسبى من أهلهم •

ذكر الدكتور جواد علي (المفصّل ج ٣ ص ٤٤٢) رواية ابن الأثير عن حادث مشابـه بين الأمراء الغسانيين ويهود يثرب ، لكنّ الأمير

---

[39] هو الحرث بن جبـلة الغساني الـذي توفي سنة ٥٧٠ م •

[40] أشار إلى ذلك ابن قتيبة : المعارف ط الحسينية ــ مصر سنة ١٩٣٤ ص ٢٨١ • قال : « .. وكان غزا خيبر فسبى من أهلها ثم اعتقهم بعد ما قدم الشام » •

في هذه الرواية هو أبو جُبَيْلة عُبَيْد بن مالك بن سالم الموالي للغساسنة الذي أنجد مالك بن العجلان الخزرجي ضد اليهود .

* * *

هذا آخر نص عربي اكتشف حتى الآن من عهد ما قبل الاسلام . على الرغم من ندرة هذه النصوص . وعددها حتى الآن ستة أو سبعة إذا ضمننا كتابة أم الجمال الأولى ، وبالرغم من قصر هذه النصوص وقلّة المعلومات الواردة فيها ، فهي اجمالا تعطينا فكرة واضحة عن نشأة الخط العربي قبل الإسلام وتطور حروفه واتصالها وانفصالها وأسلوب سبك الجمل فيها ... كل ذلك بالإضافة الى المعلومات التاريخية الهامة التي أيّدت صحة الأحداث القديمة . كم نتمنى أن تجودعلينا الايام بالكشف عن نصوص أخرى تغني معلوماتنا التاريخية وتحققها وتثبتها .

* * *

نظريات في نشوء الخط العربي

يحدثنا البلاذري أن الذين كانوا يعرفون القراءةوالكتابة فيالجاهلية عشرة[٤١] اشخاص . ثم أصبحت عدّتهم بعد الاسلام في عهدالرسول (ص) أربعين شخصا[٤٢] بما فيهم كتّاب الوحي . هذا يدّلنا على مدى انتشار الكتابة عند العرب في فجر الإسلام . تساءل الناس في القديم عن منشأ الكتابة والخط العربي ، وذكر كتّابنا القدماء نتفا سنعرضها فيما بعد ، ولكن يهمّنا أن نتعرّف على الاصل أو الاصول التي أخذ منها الخط العربي .

نرى أمامنا ثلاثة اتجاهات في البحث عن الأصل ، ويصحّ أن نسمّيها نظريات :

١ ـ نظرية كتّابنا القدماء :

وهي تعتمد على الأخبار المتواترة سواء منها الأخبار التاريخية أو الأدبية . لن نأخذ بجميع هذه الأخبار ، لأن بعضها يتحدث عن القديم ، حتى يبدأ بآدم ويصل إلى اسماعيل. أما بعضها الآخر فهو جدير بالنظر .

ذكر ابن النديم[٤٣] عن ابن عبّاس : « أول من كتب بالعربية ثلثة رجال[٤٤] من بَوْلان[٤٥] وهي قبيلة سكنوا (كذا) الأنبار ، وإنهم اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطّعة وموصولة وهم : مُرامِر بن مُرّة ، وأسْلَم بن سِدْرة، وعامر بن جَدْرة . ويقال عَرْوة وجَدْلة . فأما مُرامر ، فوضع الصُّوَر ، وأما أسلم ففصّل ووصل ، وأما عامر فوضع الإعجام .

---

[٤١] البلاذري : فتوح البلدان ، طبعة الازهر ١٩٣٢ ص ٤٥٦ (بعض المصادر تجعل عددهم سبعة عشر رجلا) .

[٤٢] المرجع نفسه ص ٤٥٧ ـ ٤٦٠ وقد عدد اسماءهم .

[٤٣] ابن النديم ـ الفهرست ، طبعة فلوغل ص ٤ .

[٤٤] ذكر الجهشياري : كتاب الوزراء والكتاب ـ القاهرة ١٩٣٨ ص ١ (ثلاثة رهط) .

وذكر ابن عبد ربه : العقد الفريد (ثلاثة نفر) .

[٤٥] ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٦٢ : « ... وهذا الموضع قريب من النباج في طريق الحاج من البصرة . وقال العراقي ... بَوْلان وادٍ ينحدر على منفوحة باليمامة وقال في موضع آخر ... » .

وقال أيضا(٤٦) : « سُئل أهل الحيرة ممن أخذتم العربي ، فقالوا من أهل الأنبار ••••• وقال(٤٦) : « وإن نفرا من أهل الأنبار من إياد القديمة وضعوا حرف ألف باء تاء ثاء ••• وعنه أخذت العرب » •

وروى(٤٦) أيضا عن محمـد بن إسحق : « فأما الذي يقـارب الحق ، وتـكاد النفس تقبله ، فـذكر الثقة أن الكلام العربي بلغـة **حِمْيَر وطَسْم وجَديس وإرم وحويل ، وهؤلاء** هم العرب العاربة ، وإن اسـمعيل لما حصل في الحرم ، ونشـأ وكبر تزوّج في جُرهُم• آل معاوية بن مضاض الجرهمي، فهم أخوال ولده ، فتعلّم كلامهم،ولم يزل ولد إسمعيل على مرّ الزمن **يشتقون الكـلام بعضه مـن بعض ، ويضعـون للاشياء اسماء كثـيرة بحسب حـدوث الاشياء الموجوادت وظهورها • »**

وقال(٤٦) : « قرأت في كتاب مكة لعمر بن شبة ، وبخطه : أخبرني قوم من علماء مُضَر قالوا الذي كتب هذا العربي **الجَزْم** رجل من بني مَخْلَد بن النضر بن كنانة فكتب حينئذ العرب » •

• • •

اخترت هـذه النصوص مـن ابن النـديم لاستنتج منها المعلومات الآتية :

١) هناك تركيز واضح أن الخط العربي عُرف في الحيرة ، وأن اهل الحيرة تعلموا الخط من الأنبـار •

هذا الخبر متواتر ويُركز إليه ، ولكن كيف وصل إلى الأنبار ؟ — يجيبنا ابن خلدون(٤٧) إجابة منطقية ، لكنها لا تعتمد على وثيقة تاريخية ولا تحـديد زمني • يقول : «••• وقد كان الخط العربي بالغا مبالغه في الإحكام والاتقان والجَوْدة في دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحِمْيَري، **وانتقل الى الحيرة ،** لما كان بها مـن دولة آل المنذر نسباء التبابعـة في العصبيّة ، والمجدّدين لملك العرب بأرض العراق »•

٢) متى نشأ الخط العربي في الحـيرة ؟ — ورد في الأغاني أن زيد بن حمّاد بن زيد ابن أيوب تولى الكتابة للنعمان الأكبر(٤٨)• وورد أيضا أن جماعة من الشعراء كانت تكتب مثل المرقش الأكبر وعبـد الله بن الزِبَعْرَى(٤٩) •

وقد ذكر الطبري(٥٠) عـن هشام بن محمـد بن السائب الـكلبي : « كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى وتأريخ نسبهم من كتُبهم بالحيرة » •

وقد ذكر ابن جنّي(٥١) أن النعمان

---

(٤٦) ابن النديم : ص ٥

(٤٧) ابن خلـدون : المقـدمـة (المطبعـة الشرقية بمصر) ١٣٢٧ هـ ، ص ٤٦٧ .

(٤٨) ابو الفرج الاصبهاني : الاغاني ، ج٢ ، ص ١٠١ .

(٤٩) المرجع نفسه ج ٢٠ ص ٢٤ .

(٥٠) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ص ٣٧ .

(٥١) ابـن جنّي : الخصـائص ، ج ١ ، ص ٣٩٣

ملك الحيرة نسخ أشعار العرب ودفنها في قصره الأبيض.. »

هذه الاخبار تحوم حول عهد النعمان -الاكبر وهو النعمان الثاني الذي ولاه كسرى الاول عرش الحيرة .

يعني أننا نستطيع أن نسلّم بأن الخط العربي كان معروفا في القرن السادس الميلادي وهو عهد قريب من الإسلام ، وأن النصوص المذكورة في كتب الأدب والتاريخ التي تسمي أسماء(٥٢) من كتب الخط العربي وعلّمه ونشره تجعلنا نتأكد بأن تكامل الخطّ لم يكن بعيد العهد عن الاسلام. وهذا يؤيده اكتشافات الكتابات العربية ، وخاصة منها المتكاملة في القرن السادس (زَبَد ، أَسَيْس ، حرّان) .

٣) نشأ الخط العربي من أصل يمني وانتقل من اليمن إلى الأنبار والحيرة ، وإنّ نفرا من أهل الأنبار من إياد القديمة وضعوا حرف الف ، باء ، تاء ، ثاء ... وعنه أخذت العرب . وإن الذي كتبَ هذا **العربي الجزم** رجل من بني مَخْلَد بن النضر بن كنانة .

هذه الاخبار تدل على أن الخط العربي انتقل أولا بشكله المسند إلى الأنبار ، وأن رجلا جزم الخط المعقّد فاختزله وشذّبه وأبدع منه الخط العربي.

وقد أيّد ابن النديم هذه النظرية بما سمعه(٥٣) من مشايخ أهل اليمن يقولون إن حِمْيَر كانت تكتب بالمسند على خلاف أشكال ألف وباء وتاء . ثم يقول ورأيت أنا جزءا من خزانة المأمون ترجمته: « ما أمر بنسخه أمير المؤمنين عبد الله المأمون أكرمه الله » من التراجم، وكان في جملته القلم الحِمْيَري، فأثبتُّ مثاله على ما كان في النسخة . وقد رسم ابن النديم(٥٤) الحروف اليمنية وجعل في قلبها الحرف العربي المجزوم (أي المقطوع والمختزل) .

٤) ذكرت نصّاً لابن النديم (وهو قبل الأخير) يتحدّث عن أصل الكلام العربي عند العرب المستعربة ، وكيف تكامل عند الأخيرين **بالاشتقاق وصنع الاسماء** للاشياء بحسب حدوثها ووجودها .

يعطينا هذا النص فكرة عن الرابطة العفوية بين نشوء الخط وتكامل اللغة وعن مراحل التطور والنموّ بشكل منطقي، ويبيّن كيف تدعو الحاجة الى التسمية وتوليد الكلام بالاشتقاق وصنع الاسماء . هذا ايضا يؤيّد الأصل اليمني وقصوره عن استيعاب كل ما تحتاج إليه اللغة للتعبير الصحيح وتلافي القصور بالتوليد مع الزمن .

---

(٥٢) يذكر البلاذري ص ٤٥٦ و ٤٥٧ ان بشر ابن عبد الله بن عبد الجن الكندي علّم في الشام ناسا ... وان رجلا من طابخة كلب علّم رجلا من اهل وادي القرى ، فاتى الوادي يتردد ، فاقام بها وعلّم الخط قوما من اهلها . وكذلك عندما يذكر ابن النديم مرامر ورفاقه ويوزع بينهم الاختصاصات يذكر عمل النضر بن كنانة بالجزْم والاختزال . ثم يأتي ابن خلدون (المقدمة: ص ٤٦٧) فيخبرنا عن ابن سدرة ويذكر بعض الاشعار الدالة على انتشار الخط .

(٥٣) ابن النديم : ص ٥ .

(٥٤) ابن النديم : ص ٦ .

٥) يفهم من كل ذلك أن الخط العربي نشأ من احتكاك عرب الجنوب بعرب الشمال والأطراف في الجزيرة العربية . هذا الاحتكاك مؤيّد تاريخيا ، فقد حصلت هجرات(٥٥) واسعة متتالية من اليمن الى عُمان، الى العراق، الى الشام، الى تدمر، الى الحجاز ... وربما كان أقدمها بعد الميلاد في القرن الثاني الميلادي وأوسعها في القرن الثالث . وقد استطاع العرب الجنوبيون أن يؤسسوا دولا وممالك . وامتزجوا بالشعوب السامية في الشمال . واقتبس بعضهم كتابتها ، كما حصل في تدمر . وأخذوا منها وأعطوها . ومما ساعد على التمازج اعتناق بعضهم الدين المسيحي .

كان لهذا التمازج أثر كبير في ابداع الخط العربي وتكامله ورقي اللغة العربية والشعر والأدب قبل الاسلام ، ولكن هذا التطورّ ظلّ محدوداً حتى أكرم الله العرب بالإسلام ، فحصل بذلك التمازج الحقيقي ، وانتشرت الكتابة على مقياس واسع ، وبسرعة مذهلة ، ذلك لأن المسلم أصبح يعتقد أن التعلّم جزءا من العبادة لا يتمّ دينه إلا به .

. . .

٢ ـ نظرية نشوء الخط العربي من تطوّر الخط النبطي :

نشأت هذه النظرية من خلال دراسة العلماء للخطوط السامية إجمالا وخطّ الكتابات العربية قبل الإسلام ومقارنتها ، وهي في الواقع دراسة وثائقية موضوعية ، لا علاقة لها بالنصوص الواردة في المصادر القديمة ، ولكن مع ذلك فإن هذا لا يعني أن علماء الخطوط لم يطلعوا على المصادر ، انهم فعلوا لمجرد الاستئناس فقط .

لقد عرضنا الكتابات العربية السبع قبل الاسلام عرضا مفصّلا . وألمحنا الى التدرج بتطوّر الحروف نحو التعريب ، وكنّا منذ تحدثنا عن نقش أم الجمال الاول ندلّ على مدى قرب بعض الحروف والكلمات من الخط العربي ، وكذا سبك الجمل منذ حللنا نقش النمارة .

لقد لمسنا أيضا أن من كتب النقوش العربية قبل الاسلام كان عالما بالآرامية حتى أنه اتكأ على بعض قواعدها باضافة (الواو) في آخر الاسماء الأعلام .

نستطيع أن نقول إن أكثر المستشرقين وآخرهم الاستاذ الدكتور غروهمان يتبنّون هذه النظرية ، ولو أن بعضهم يلمّح الى أثر الآرامية والسريانية الاسطرنجيلية في تطوّر بعض الحروف .

. . .

---

(٥٥) تحدث العلماء طويلا عن اسباب الهجرات العربية من الجنوب الى الشمال . وقد اعطانا الدكتور جواد علي في كتابه « المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام » بيروت ١٩٦٩ ج ١ ـ ص ٢٢٩ ـ ٢٥٤ معلومات هامة في هذا الموضوع .

٢ ـ نظرية ميليك ـ ستاركي (٥٦) :

عرض الأب ستاركي نماذج من الخطوط النبطية الملتقطة من كتابات ترقى الى القرن الثاني قبل الميلاد حتى آخر القرن الاول الميلادي . كما عرض الكتابات العربية قبل الإسلام ثم كتابة دير سمعان السريانية التي نشرها ليتمان(٥٧) وركّز على الكتابة السريانية الأخيرة بحيث بيّن وجه الشبه بينها وبين الخط العربي ليخلص من ذلك الى أن الخط العربي نشأ من السرياني الاسطرنجيلي لشدة شبهه به. وكان يريد بذلك أن ينقض (لا أن يعدّل) نظرية العلماء القائلة بأن الخط العربي متطوّر من الخط النبطي المتأخر . وقد أدلى الأب ستاركي بالحجج التالية :

١) ان الكتابات العربية قبل الاسلام وجدت في حوران. هذه المنطقة لم تخضع للانباط الا مدّة يسيرة في عهد الملك أريتاس الثالث Arétas III ملك دمشق (٨٤ ـ ٧٢ ق.م) ومن الممكن أن تكون قد خضعت للملك عبود الثاني Abodas II من سنة ٣٠ ق.م وقبل ٢٣ ق.م .

٢) يعتبر أن كتابة أم الجمال الأولى نبطية وكتابة النمارة كتبت بخط نبطي وبلغة عربية ، وهما مختلفان عن كتابات القرن السادس وخاصة (زَبَد وحرّان) التي كتبت بخط عربي أشبه بالخط السرياني . ويركّز على كتابة زبد لأنها وجدت في شمالي سورية وهي نصّ مسيحي . ويقارن بين الخط العربي في القرن السادس الميلادي والكتابة السريانية اللينة التي خطها حاج مسيحي في دير سمعان وكتابة سريانية أخرى نشرها ليتمان(٥٨) .

٣) يعتمد على النصوص العربية الواردة في البلاذري وابن النديم وغيرها . وهي تشير بوضوح إلى أن العرب تعلّموا الكتابة من الحيرة والأنبار ، ثم انتقلت إلى مكّة على يد المسيحي بشر وهو أخو أُكَيْدِر الأمير الكِنْدي في دومة ... ثم يتساءل: لماذا لا نعتبر أن الكتابة العربية القديمة أخذت من الكتابة السريانية ؟ يعترف بأنه لم يوجد في الحيرة حتى الآن أية كتابة عربية تثبت بوضوح أن العرب أخذوا كتابتهم من الحيرة ، لكنه يستشهد بكتابة ديرهند الكبرى التي ذكرها ياقوت(٥٩) والتي يمكن تأريخها بالقرن السادس الميلادي .

٤) يستشهد بقول غروهمان(٦٠) الذي يتساءل عن كتابة عربية قبل الإسلام تكون حلقة الاتصال بين خط نقشي زَبَد وحرّان الأقرب الى اللين وبين الخط العربي الكوفي المزوّى . ويبني على ذلك بأنه لا بدّ من أن تكون حلقة الاتصال المفقودة هذه

---

(٥٦) عرض هذه النظرية الاب ستاركي لاول مرة في المرجع التالي :
J. Starcky : Supplément au Dictionnaire de la Bible : Pétra et la Nabatène civilisation. PP 927 - 934.

(٥٧) E. Littmann : SYRIA. Div. IV. sec. B. No. 29.

(٥٨) Ibid : Nos 29 et 39

(٥٩) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ، ص٧٥٩ .

(٦٠) Grohmann : Einfurhrung und chrestonmalhie zur Arabischen Papyruskunde, 1954.

متأثرة إلى حدّ بعيد بالخط السرياني ، ويخمّن بأنه لا بدّ من أن تكون هذه الكتابات (حلقة الاتصال المفقودة) موجودة في الحيرة؛لأن في الحيرةمدرسة شعرية مسيحية مكتوبة .

٥) يستدلّ ستاركي من أن (الدالّ) (والراء) في العربية القديمة الشبيهتين بالباء العبرية على الصلة بالثقافة المسيحية، ويقول : «هذا معروف بالكتابةالنسطورية اللينة » . ثم يشير الى أن (الباء)توصل بخط أفقي مع الحروف الأخرى . كما هي الحال في الكتابةالسريانيةالاسطرنجيلية ويقول : « إن هذا التشابه لم يحصل بمحض الصدفة » ثم يؤكد أن (الجيم) و (الهاء) ذات العقدتين و (العين) الأفقية و (الصاد) المفتوحة إلى الأعلى وأسنان (السين) المستوية ... كل ذلك شبيه بالخط السرياني الاسطرنجيلي ؛ لكنه يعترف بأن (الطاء) و (الميم) هما أشبه بالنبطي .

. . .

هذه خلاصة نظرية ميليك ـ ستاركي وقد رحّبت بها المستشرقةجانين سورديل ـ تومين(٦١) وفنّدت تشابه الخط العربي بالخط السرياني بأن كليهما يخضع الى تتابع الحروف بتسلسل واتزان فوق السطر ، بينما الخط النبطي حروفه تعلو وتنخفض عن السطر ، وكذلك فان الحروف العربية متصلة كالحروف السريانية، بينما الحروف النبطية متصلة دائما .

استشهدت أيضا سورديل بأن مكان وجود الكتابات العربية الثلاث قبل الإسلام ، وهو الخاضع للدولة الغسانية المسيحية وحكم الساطرة ، يجعلنا نتأكد من تأثرها بالخط السرياني .

* * *

هذه النظرية تعتمد على وجهات نظر جيدة، ولكن عليها مآخذ سنسردها فيما يلي متتبعين النقاط التي لخّصتنا بها النظرية :

١) إذا كانت دولة الأنباط قد زالت من زمن بعيد قبل عصر الكتابات العربية قبل الإسلام ، فهل هذا يعني أن الشعب النبطي زال من الوجود ، وزالت كتابته وثقافته ؟

٢) إن الكتابة السريانية التي خطّها حاج مسيحي في دير سمعان ؛ وإن تشابهت حروفها بشكل الكتابة العربية، لكنّ لفظ أكثر الحروف مختلف تماما وإليكم الكتابة:

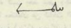

أنا يالاديوس
السماك

الحروف المتشابهة (الألف والنون واللام في الوسط والياء) أما باقي الحروف فهي لا تشبه إلا من حيث الشكل ، لكنّ اللفظ ومعنى الكلمات مختلف تماما . ولكن من يفحص تطوّر الحرف من النبطي المتأخر الى الخط العربي ، يرى التطور

---

(٦١) Janine Sourdel. Thomine : Les Origines de l'Ecriture Arabe à propos d'une hypothèse récente [Revue des Etudes Islamiques, 1966, PP. 151 - 157].

اشكر الدكتورة سولانج اورى التي اعارتني هذا المقال لاطلع عليه .

الطبيعي جلياً • صحيح أن (السين) النبطية في نقشي (أم الجمال الأول والنمارة) تختلف تماما عن (السين) العربية قبل الاسلام في نقوش (زبد وزبد وأسيس وحران . إلا أن لها ثلاث أسنان ، ثم أصبحت أسنانها مستوية •

نقطة الضعف في هذه النظرية أن الأب ستاركي أغفل كتابة معبدرم (وهي الثالثة في بحثنا) فإن (سينها) و(راءها) و(ألفها) و (كافها) و (تاءها المربوطة •••) كل ذلك متطور ، مع أن عهدها لا يتجاوز سنة ٣٥٠ م : كذلك فإن الأب ستاركي لم يطلع على كتابة أسيس حين كتب بحثه ، وهي كتابة متطورة تماما مع أن تاريخها يسبق كتابة حران ، وليس لها أية علاقة بموضوع ديني •

٣) كما ذكرنا أن العلماء استأنسوا بما ورد في المصادر العربية القديمة عن الكتابة والخط العربي ، لكنهم كانوا دائما حريصين أن يعتمدوا على المكتشفات الأثرية ليكون بحثهم موضوعياً. أعتقد أن الأب ستاركي والأب ميليك يفضلان أيضا هذا الأسلوب في البحث العلمي ، لكنهما وجدا في هذه النصوص ما يدعم نظريتهم ، فأولوها عناية خاصة •

٤) ليس من الضروري البحث عن حلقة الاتصال المفقودة لأن الخط العربي ظل أقرب إلى الليونة في عهد الرسول وفي فجر الإسلام وأن أول كتابة عثر عليها حتى الآن رقمت بخط مزوى وقاس مؤرخة من سنة ٣١ هـ (سنذكرها في القسم الثاني من هذا البحث) ، وان أول كتابة كتبت بالخط الكوفي المزوى الجيد مؤرخة من سنة ٦٤ هـ ، ثم ظهر الخط المزوى المتقن على النقود لأول مرة على دراهم واسط سنة ٨٥ هـ • إذاً الحلقة المفقودة موجودة ولكن بعد الإسلام لا قبل الاسلام •

• • •

هذه هي النظريات الثلاث — وفي رأيي — إنها جميعا تعتمد على أمور جوهرية لا يجوز إغفالها :

١) لا ينكر أحد من العلماء الصلة بين الجنوب والشمال والتمازج بين الشعوب السامية العربية • ومن دواعي التمازج هو الاخذ والعطاء والتأثر والتأثير ، وخاصة في أمر مهم كالكتابة والخط ، لذا لا يمكن إنكار الجزم أي اختزال الحروف اليمنية في الحيرة •

٢) لا يمكن إنكار تطور الحروف النبطية المتأخرة إلى العربية ، وإن نص النمارة لأكبر شاهد ، فهو يتضمن كلمات بل جملا لا تختلف عن العربية إلا قليلا ، مع أن أكثر حروفه نبطية •

٣) أفضل نقش عربي قبل الإسلام يمثل نضوج الخط العربي هو (نقش أسيس)، ومع ذلك فإن التاريخ فيه كتب بالنبطية ، فكيف يمكن أن ننكر الأصل النبطي في الخط العربي ؟